الياس خوري

سمير الصايغ: الحرية ولغة القلب

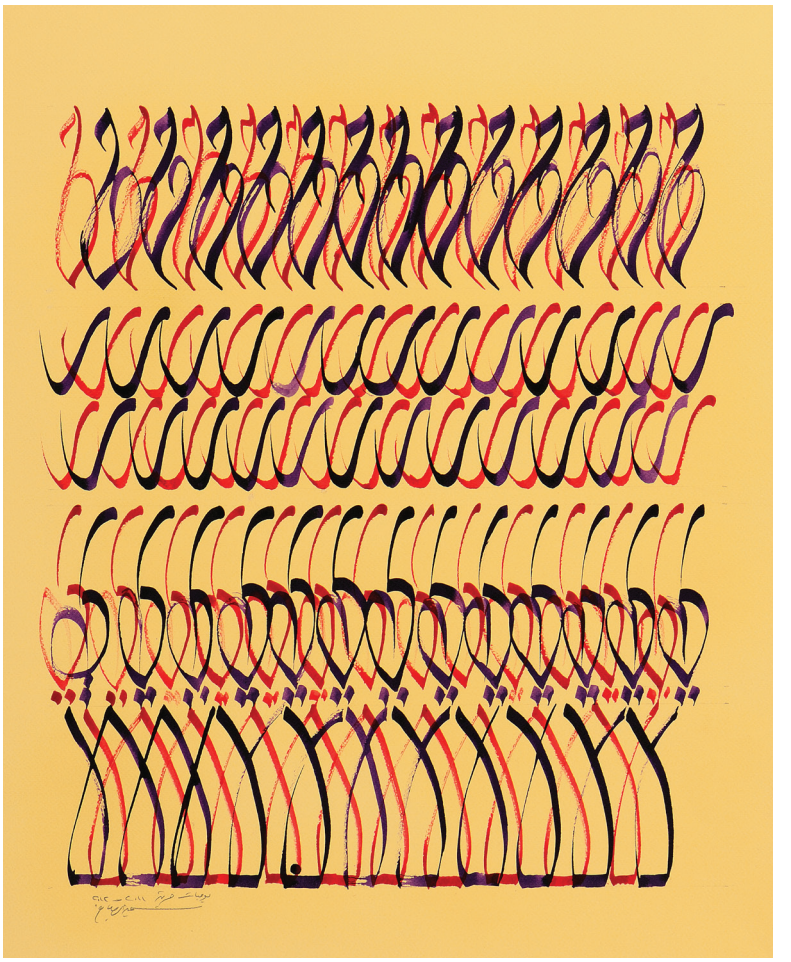

قال سمير الصايغ إن فكرة متوالية لوحاته التي تحمل عنوان: "يوميات حرية"، جاءته وهو تحت تأثير صور عاصفة ثورات الحرية التي اشتعلت في العالم العربي. "كنت وكأنني أرى هذه المشاهد من الحياة الثانية، من ما بعد الموت."

ماذا رأى الفنان اللبناني الذي بدأ حياته شاعراً، ثم صارت لوحاته أحد عناوين ولادة الخط العربي كرؤية تشكيلية، حملت نقاء الصوفيين وبهاء المعاني التي تجاوزت معانيها؟

"أحسست وأنا أمام مشاهد الأيدي التي ارتفعت والنار التي احترقت في تونس ومصر وسورية واليمن، بأنني أحيا من جديد، فأنا قبل ذلك لم أفقد الأمل فقط، بل كأنني فقدت

الحياة أيضاً."

استعادة الحياة والأمل بدأت حين أخذ الفنان يُشكّل حروف كلمة حرية. "هذا دَين أردّه لكل الثورات السابقة، وهذا تعويض عن تقصيري تجاه الذين ماتوا من أصدقاء كنا معهم، ولكننا لم نكمل الطريق بعد غيابهم."

يتحدث سمير الصايغ عن الثورات العربية بلغة رؤيوية تستدير وتنعطف، تنحني وتستقيم، كالحروف التي تُنثر على اللوحة فتملؤها احتمالات آتية من "شتى المعاني". بعد أن يروي أن هذه الثورات أعادته إلى هزيمة الخامس من حزيران / يونيو، وإلى الأيام التي كنا ننزل فيها إلى الشارع دعماً للمقاومة الفلسطينية، ينعطف كلامه ليقول إن هذه اللحظات تساوي ألف سنة، "وإن يوماً واحداً عند ربك، كألف سنة ممّا تعدّون"، بحسب التعبير القرآني، أو كما جاء في مزامير داود: "لأن ألف سنة في عينيك يا رب، كمثل أمس الذي عبر أو كهزيع من الليل."

لا يتحدث سمير الصايغ في السياسة، فالثورات أفق مفتوح، لكنه يشعر بأن تحرير الخط جاء، بالنسبة إليه، مع كلمة حرية، التي أعلنت انتماء الخط إلى القلب وليس إلى الماضي.

ماذا تقول لغة القلب؟

مشاهدة هذه اللوحات التي عُرض قسم منها في مهرجانات بيت الدين، في صيف سنة

٢٠١٢، تأخذ العين في رحلة إلى الكلمة، وإلى ما يقع خلفها وبعدها. الحروف تتشكل كتظاهرات، تنحني كالضحايا، تنفجر كالحناجر، ترتفع كالأيدي، تحنو كالعشاق، تتمدد كالأجساد التي مزقها الرصاص... تشكيل يستشرف اللانهائي في النهائي، واللامحدود في المحدود.

استخدامي لأداة التشبيه وأنا أحاول أن أصف اللوحات ليس صحيحاً، فالأحرف التي تتناثر من كلمة حرية لا تشبه الأشياء والناس، إنها هم وقد صاروا حروفاً. الخط ليس زخرفة، إنه لغة العين، يحمل المعاني ويتجاوزها ليتحول إلى حركة تحافظ على "حسن الشكل وحسن الوضع" بحسب تعبير ابن مقلة. ما يقدمه

سمير الصايغ في لوحاته هذه هو تعبير عن الدهشة أمام الأشياء وهي تعيد تشكيل نفسها، في حروف تتصل أو تنفصل، تجتمع وتفترق.

"لكنك بدأت حياتك شاعراً، الكتابة تجمع، ولوحاتك الخطية، تفرّق"، سألته.

" 'التفرقة بُعدٌ جامع' كما قال ابن عربي"، أجابني.

قال أنه لم يرد يوماً أن يكون شاعراً، "الشاعر كنموذج لم يعد يرضيني، الذي أدهشني في طفولتي هو القديس وليس الشاعر، مار سمعان العمودي، ولذا أحببت التصوف."

لكن القديسين والأنبياء يتكلمون لغة الوحي، والوحي متعدد، "كلمة وحي لا تُجمع، إنها مفردة"، قال، مضيفاً أن هناك عدة أنواع من الوحي.

في حروف سمير الصايغ تمتزج لغة الثورة بلغة القلب، وتصير العين أول حروف الأبجدية، مثلما اقترح الخليل بن أحمد مؤسس علم العروض.

والعين مرآة الروح، ونافذة القلب.

وحين تتحرر العين وترى الأشياء جديدة تنبثق الاحتمالات التي لا نهاية لها.

"الخط ليس حرفة" مثلما صارت عليه الأشياء بعد موت الرؤيا في القرنين السابع عشر

والثامن عشر عندما انطفأ الخط وتحوّل من فن إلى حرفة.
استعادة الفن عبر الخروج إلى مغامرة الرؤيا هو ابن الحرية.
كتب سمير الصايغ حريته ـ حريتنا في لوحات ساحرة في قدرتها على مخاطبة القلب.
وحين يتكلم القلب تذوب الكلمات في كلمة واحدة مؤلفة من ستة أحرف:
ح رّ يّ ة ■